الانتحار الميتافيزيقي واحتجاب عن الفعل التاريخي . ومن هنا ان ليس من معنى ولا من وجوب الا للمسيحية العربية الحاملة شأن فلسطين محكا لصدقها ومجالا لتنقيتها .

الامامة الروحية تصبح في هذا الموقف شيئا من العالم . تفصح ، بمسالك واضحة ، عن قضية الانسان . فالانسان ، لا الله ، هو الذي يفرقنا . نقتتل حول الانسان . ومشكلة الله تبدأ من هذا التساؤل : هل لله وجه انساني ؟ هل الانسان مدعو ليصير الهي الطلعة والنفحة من خلال تاريخ وجهاد ؟

الذين يجيبون بنعم عن هذا السؤال تبدأ بينهم المصالحـــة . فالعودة الى التراث ممكنة فقط من الالم . والمسيحية لا تصبح فعل قيامة الا انطلاقا من الانسان المطروح على دمائه. الحب هذا يجعلها تنطق لاهوتا قادرا أن يرى الصليب وان يتجاوز الصليب بآن معا الى ما فيه فرح الانسانية جمعاء وهناؤها وسلامتها .

ان شهادة راع وطني مقاوم ــ جماله كله في اللا يقولها لاسرائيل ــ شهادته أن يرسخ في أذهان العرب جميعا ليس فقط ان الطليعة المسيحية لا تقل عن اية طليعة أخرى شرفا ونضالية ولكن من شأنها أن تجعل الفكر المسيحـــي في أصالته جزءا لا يتجزأ من هذه الدنيا العربية التي نريد بناءها على الحداثة . نحن قطب عقلي من هذا الميراث العربي الكبير . ولكن ينبغي تأكيد ذلك بالجهاد القومي والانتاج الثقافي الضخم في آن معا . وليس عندي من شك أن المصلحة العربية الكبرى تقضي بتعزيز المسيحيين العرب تعزيزا كبيرا . ولعل لهم في تقويض الامبريالية معاول يتقنون استعمالهـــا كما لهم في تحرير الانسان العربي في العمق مساهمة كبيرة . المسيحية العربية ليست فقط واجهة أو سلعة تصدير في مواجهتنا الصهيونية والسيطرة الاجنبية التـــي تدعمها . ولكنها الهام للعرب وغذاء لا يستغنى عنه في وجودهم التاريخي الفاعل .

والى جانب تأثيرها في الشرق تبقى المسيحية المتجددة في تراث آبائها وتحسسها لعملها العربي تلك القوة القادرة حقا على تحدي المسيحية الغربية في نزعتها المتهودة اليوم . وقد أخذت تقوم بمهمتها هذه في المجالات العالمية والاقليمية ونقابل أهل الغرب بموقف من التوراة وعلاقتها بالعهد الجديد غير الذي ألفه الغرب في الأزمنة المتأخرة . ولعل هذه المناظرات مقرونة بمعرفة الواقع الفلسطيني أخذت تؤتي ثمارها هنا وثمة بعد هذا التحفظ الشديد تجاه القضية برمتها .

والمسيحية العربية بتخطي الحرفية والتاريخانية الغارق فيهما الغرب المسيحي تؤكد على الانجيل والتراث الشرقي الكبير ولا سيما على رؤية آباء الاسكندرية القدامى وكان عندهم من الانفتاح على الديانات القديمة والفلسفة اليونانية الشيء الكثير . أي ان مسيحية هذه البلاد تقتفي آثار المسيح أنى وجدت وتستحبها أنى وجدت ولو في الميراثات الدينية الخارجة عن الكنيسة التاريخية كالاسلام وذلك لكون فعل الكلمة الالهي غـــير محصور في الكيان التجسدي الذي اتخذه المسيح . الكلمات الالهيـــة المزروعة خارج الخط العبري ــ المسيحي التاريخي وهي كلمات لالهنا يجب التقاطها هنا وثمة وفيها يتجلى ضياء يسوع . ان الموقف المسيحي المشرقي في تعمقه الجديد ينشىء مودة أصلها موضوعي ليس فقط للمسلمين بل للاسلام نفسه أو بعض الاسلام . وهذا ما يجعلنا نذهب الى ان المسيحية العربية في نهضتها اللاهوتية لا تنادي بعلمنة التراث العربي حتى يذهب عنه الاسلام ــ وهذا مستحيل ــ ولكنها تدعو الى موقف روحاني وحضاري يكون فيه لكل من الديانتين أثرهما في تكوين الانسان العربي على هذا الصعيد أو ذاك